1503



خطاب صاحب الجلالة في افتتاح مؤتمر القمة الفرنسي ــ الافريقي

الدار البيضاء ــ افتتح مؤتمر القمة الفرنسي الافريقي الخامس عشر أشغاله **بقاعة المؤتمرات** بالقصر الملكي، وبعدما ألقى رئيس الجمهورية الفرنسية السيد فرانسوا ميتران خطابه الافتتاحي ارتجل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الخطاب التالي :

بسم الله الرحمان الرحيم
أصدقائي الرؤساء الأعزاء
حضرات السادة الوزراء
حضرات السادة السفراء

ثمة مسؤوليات من الصعب تحملها ولو لمدة سنة، وخاصة إذا كانت موروثة عن رئاسة جد نشيطة ومتبصرة وإنسانية كرئاسة السيد فرانسوا ميتران رئيس الجمهورية الفرنسية.

لقد قلت لأشقائي الأفارقة في كلمة موجزة مساء أمس خلال جلسة العمل القصيرة التي جمعتنا قبل مأدبة العشاء وجهة نظري التي كانوا يعرفونها بطبيعة الحال بشأن مواقف فرنسا وسياستها، وبالأخص عقلية ومشاعر صديقنا وشريكنا في الرئاسة السيد فرانسوا ميتران وهي المواقف والسياسة والعقلية والمشاعر التي لم تتغير.

فليست هذه هي المرة الأولى التي تتعرف فيها شعوب افريقيا بصفة خاصة وشعوب البلدان السائرة في طريق النمو بصفة عامة على أفكار ومواقف السيد ميتران، لقد تعرفنا عليه جميعا وكانت لي حظوة التعرف عليه قبلكم جميعا ما عدا عميدنا وصديقنا المحترم السيد الرئيس هوفيت بوانيي والرئيس السينغالي السابق سنغور.

وكنا نراه دائما ومهما تكن الظروف ليس فحسب في طليعة النضال الوطني أو في صفوف المقاومة بل وكذلك في طليعة النضال من أجل صيانة كرامة الانسان وتحويل الأماني المشروعة في التحرر الى واقع سواء في افريقيا أو في باقي البلدان المستعمرة.

فلفرنسا بطبيعة الحال مشاعر خاصة إزاء افريقيا، وان ماضي العلاقات الفرنسية الافريقية مهما تكن سلبياته فإن إيجابياته ولله الحمد أكثر من سلبياته.

لقد إعتبرنا جميعا فرنسا والدول الافريقية الممثلة هنا أنه لا ينبغي أن تسجل في التاريخ المسائل السلبية فقط بل ينبغي أن تدون أيضا في صفحاته الناصعة الايجابيات، لأن من شأنها وحدها أن ترسم مسارا مشتركا لا يحتفظ في عملنا حالا واستقبالا إلا بالجوانب الايجابية وخاصة استمرار الصداقة بين بني البشر وبين الشعوب والبلدان.

فبعد الخطاب الذي ألقاه شريكنا في الرئاسة من الصعب ــ وأعتقد أن ذلك اختيار لا يريد الكثيرون منا مواجهته، ولكني واجهته لأن العرف والعادة يلزماني بذلك ــ التحدث من بعده في هذا المحفل، ذلك أنني أعتقد أنه تطرق ليس فحسب لمشاكلنا الحقيقية والملموسة بل أيضا لمشاغل وهموم كل واحد منا.

فكل واحد منا يكون لحظة ما من حياته الوحيد صاحب القرار، إن كل شخص يتحمل مسؤولية بلد وشعب مهما تكن الامكانيات التي يتوفر عليها، وكيفما يكن مستوى مستشاريه والدراسات والتحاليل التي

توجد رهن إشارته فإنه يجد نفسه في لحظة من اللحظات الوحيد الذي يتوجب عليه إتخاذ القرار.

فالرئيس ميتران بين لنا في خطابه أن هموم وإنشغالات ومشاكل الأشخاص الذين ينهضون وحدهم بالمسؤوليات ليست وقفا على قادة الدول العظمى وحدهم، بل انها ملازمة ليل نهار لكل شخص أناط به الله سبحانه وتعالى المهمة النبيلة والجسيمة المتمثلة في تحقيق سعادة واستقرار ورفاهية الشعب الذي هو منه وإليه.

و لم تفتأ فرنسا تفاجئنا مفاجئات سارة في عهد الرئيس ميتران، وإني متأكد بل على يقين بأنه سيبذل من الجهود أكثر من ذي قبل، وأتأسف لكون الرئيس ميتران لا يرغب في ترشيح نفسه لفترة رئاسية ثالثة، ولكن ذلك سيدفعه بكل تأكيد الى أن يكون أكثر جرأة، لأن كل إنسان حكيم، والرئيس ميتران من بين الحكماء، لا يمكن أن يكون له إلا طموح واحد، هو أن يقوم بالمهمة التي كرس حياته من أجلها على الوجه الأمثل، والكل يعلم أن مهمة الرئيس ميتران لا تكتسي طابعا وطنيا فحسب بل انه حرص على أن تشمل مهمته كل الأوطان والجهات والقارات.

فمن الأهمية بمكان بالنسبة لنا ولهذا المؤتمر الذي ليس في الواقع كباقي المؤتمرات الدولية، لأننا نختتم لقاءنا دون إصدار توصيات، وليست لنا كتابة عامة، أن تتيح لنا لقاءات من هذا القبيل فرصة مناقشة مشاكلنا في جو عائلي أكثر ما يمكن، وهي لقاءات تعد مثمرة للغاية، لأن أشغالها تتم في جو بعيد عن كل ديماغوجية.

فالديماغوجية ويا للأسف تظل مرضا مألوفا، وتظهر خاصة في ختام أشغال المؤتمرات عند صياغة التوصيات أو القرارات، فآنذاك تبدأ المزايدات الكلامية ويتم الدخول في صراعات متجاوزة لا فائدة ترجى منها من أجل انشغالات هي في الواقع دون انشغالاتنا الحقيقية.

فما هي إذن مشاكل افريقيا في نهاية المطاف؟ إن المشكل الأساسي لافريقيا في نظري هو كون البلدان الافريقية نالت استقلالها دون أن تكون مهيأة لذلك كما ينبغي على مستوى القاعدة.

لقد كونت البلدان الافريقية نخبتها، ودرسنا نحن الأفارقة أساليب الحكم والتشريع والادارة، ووجدنا أنفسنا وكأننا على ظهر سفينة كبيرة يعمل على متنها ضباط سامون وبحارة ولكن لا يوجد ضباط صف يبلغون ويشرحون ويعللون الخطاب الموجه من القمة للقاعدة.

إن افريقيا قارة غنية بمواردها الأولية، وكما قال بالأمس عميدنا الرئيس هوفويت‌بواني وكرره اليوم الرئيس ميتران فإن الثروة البشرية أثمن وأهم من ثرواتنا المعدنية والفلاحية، بل وحتى من مواردنا الطاقية وخاصة الطاقة الشمسية بفضل الامكانيات الهامة التي تتيحها الشمس لافريقيا.

وفي رأيي يتعين علينا قبل كل شيء أن نكون الانسان الافريقي، لكن كيف يمكن لنا أن نكون هذا الانسان الافريقي ما دمنا لم ندرك بعد أن افريقيا تتوفر ولله الحمد على هذه الثروة الكبيرة المتمثلة في تنوعها الجغرافي والمناخي، وكذا في تنوع الأجناس والحضارات بها.

إنني واثق شخصيا من أننا لو انكببنا في يوم ما على مشكل المديونية التي هي بطبيعة الحال مسألة مهمة وحيوية ولها تأثير فيما يخص تكوين الانسان وتمكنا من التفكير في الانسان الافريقي فإننا سنربح كثيرا من الوقت، وستفهمنا جيدا جميع الشعوب المحيطة بنا.

والمغرب من جهته لا يمكنه أن يقول أكثر من ذلك، لأنه لم يعد هناك كما ذكرت ما يقال بعد الذي قاله الرئيس ميتران.

وكما قال لابروبير وأعتقد أن قولته كانت بالنسبة للعديد منا موضوع امتحان الباكالوريا : لقد قيل كل شيء منذ سبعة آلاف سنة، فقد كان هناك أناس قبلنا يفكرون.

إذن فلقد قيل كل شيء، وليس ذلك فحسب بل لقد تم الاصغاء الى كل ما قيل بكثير من الانتباه وكثير من الارادة في الاحتفاظ بذلك في الذاكرة.

وأكتفي فقط بأن أقول لكم شيئا أحسه في أعماقي، هو أنني باستضافتي لهذا الاجتماع لا ألبي فقط رغبة شخصية دفينة، بل كذلك رغبة شعبي في أن يراني بين نظرائي القادة الأفارقة.

فالى هؤلاء القادة أتوجه بالشكر على قبولهم في السنة الماضية ترشيح المغرب لاستضافة هذا المؤتمر.

لقد قال لي البعض ان الدول الافريقية أو بعضها على الأقل كانت محرومة من حضور المغرب، وأود أن أقول : انه بالنسبة لنا فإن الأمر كان أشد، إذ أننا كنا محرومين من حضور جميع الأفارقة.

وقد اتيحت لي وللشعب المغربي هذه الفرصة للاجتماع بكم، وآمل شخصيا، ولابد من الختم دائما بالتفاؤل، أن تزول في أقرب وقت أسباب هذا الخصام الذي تأسفنا وحزنا له كثيرا، حتى يتمكن المغرب وخادمه الأول من معانقة افريقيا كلها، ورغم أن علاقاتنا على الصعيد الثنائي مع الدول الافريقية لم تعرف أي فتور، بل على العكس من ذلك تعززت أكثر من ذي قبل.

إن أحد امتيازات القارة الافريقية هو، كما سبق أن قلت، تعدد الأجناس والديانات واللغات بها مما جعل كل بلد يثريها بما يملك من رصيد.

لقد اتخذت افريقيا سنة 1967 بدافع التضامن مع مصر الافريقية موقفا جد شجاع تمثل في رفضها إحتلال جزء من أرض أحد أعضائها بقوة السلاح، وبعد ذلك حررت مصر أراضيها لكنني كنت أشعر على الدوام وما زلت حتى الآن أشعر وبشكل أكبر أنه رغم ذلك فإن التضامن العربي الافريقي أو الافريقي العربي ما زال متجذرا في أعماقنا، لأن مشاكل مصر ليست مشاكلها وحدها بل مشاكل العرب جميعا، ومشاكل العرب ترتبط أساسا بالنزاع العربي الاسرائيلي.

وكما سبق أن قلت لكم أشقائي الأعزاء فإن هذا المشكل هو العائق الذي يقف في وجه العالم العربي ويثقل كاهله ويحد في جميع المجالات من حرية نشاطنا وحتى من قدرتنا على المساهمة الايجابية في تطور البشرية، لهذا السبب وكما قال الرئيس ميتران لم أطلع أيا منكم هذا الصباح على ذلك، لأنه لم تتح لنا فرصة اللقاء، ليس هناك من لم يرحب بمواقف منظمة التحرير الفلسطينية وهي مواقف واقعية وجدية جعلت المنظمة تحظى بتعاطف جميع دول العالم.

وقد علمنا هذا الصباح بالدار البيضاء، وهذا طالع يمن، أنه تم ولله الحمد تجاوز ما أعتبره آخر عائق كان قائما، ألا وهو إعلان الولايات المتحدة سواء عن طريق البيت الأبيض أو عن طريق وزارة الشؤون الخارجية، أنها تعتبر المقترحات الفلسطينية كقاعدة كفيلة بفتح حوار من أجل السلام، وأنها قررت في هذا الصدد الشروع



في إجراء الاتصالات الأولية مع منظمة التحرير الفلسطينية بواسطة السفير الأمريكي في العاصمة التونسية.

إن ذلك ليس بالتأكيد موضوع مؤتمرنا، غير أنني أحس من خلال المناقشات التي كانت لي من حين لآخر وعلى إنفراد مع أشقائي الأفارقة أنكم ربما تعتقدون أن العرب لم يكونوا في المستوى الذي كنتم تأملونه فيما يخص المساعدة من أجل التنمية، وعلى مستوى الاستثمار، وبالفعل لا أقول انكم محقون تماما ولكنكم على أية حال محقون.

وللأسف ففي الوقت الذي بدأت فيه الدول العربية تدرك أنها مذنبة يصح القول في هذا الميدان تجاه أشقائها الأفارقة اندلعت الحرب العراقية الايرانية.

وتعلمون جميعا لأنكم كلكم تضعون في الاعتبار عوامل الجغرافية والسكان والتاريخ والهجرة البشرية وهجرة الأدمغة والديانات، ان الأمر يتعلق بالنسبة للعالم العربي بمسألة مصير وبقاء، فطوال ثماني سنوات عملت الدول العربية كل ما في وسعها حتى لا تمتد الحرب الى مناطق أخرى.

إن الدول العربية ستجتمع قريبا في قمة، وأتمنى أن يتم ذلك وأريد أن أقول لكم ذلك علانية لسببين أولهما لأنني افريقي وسأظل افريقيا، وثانيا لأنني أعتبر نفسي الناطق باسمكم ولا أقول المدافع عنكم، لأن القضية الافريقية ليست في حاجة لمن يدافع عنها لدى الدول العربية، بل هي في حاجة الى متابعة.

ويمكن أن أؤكد لكم أنني هذه السنة التي سأحظى فيها بشرف وامتياز رئاسة المؤتمر سأكون الرسول الأمين الذي لا يكل وأحيانا المزعج لأطرح في كل لحظة الملفات الافريقية على أنظار أشقائكم العرب.

لقد تأثرت بالغ التأثر لعبارات الشكر التي فاه بها في حقي الرئيس ميتران ولا أقول الرئيس السابق، لأننا سنلتقي إن شاء الله في السنة القادمة، ويمكن أن نقول انه سيأخذ فقط قسطا من الراحة، لكن عليه أن يعلم أننا جميعا سنلجأ إليه قصد الاستشارة، وأنا سألجأ إليه سواء شخصيا أو كرئيس لهذا المؤتمر لمدة سنة.

ولم يبق لي إلا أن أقول لكم : انني لست في حاجة الى الترحيب بكم، فأنتم أهل الدار ولي الشرف بأن أكون ضيفكم، وأعتقد أنكم لاحظتم خلال مروركم في الشوارع الفرحة التي كانت تعلو وجوه المغاربة والتي تعكس مشاعر الفرحة التي يكنونها لقارتكم، وكذا ثقتهم في التعايش بين افريقيا الواقعة شمال الصحراء وافريقيا الواقعة جنوبها، فهذا التعايش أمر حيوي بحيث أن بلدان افريقيا الشمالية تعد الممر الطبيعي بين أوربا وافريقيا الواقعة جنوب الصحراء.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يكلل أعمالنا واجتماعاتنا بالنجاح والتوفيق.

وشكرا لكم مرة ثانية على هذه النفحة الافريقية التي جئتم بها، ونطلب منكم أن نرفع الجلسة على أن نجتمع بعد الظهر في جلسة مغلقة حتى يتمكن كل واحد منا من أن يناقش القضايا التي تهمه بصفة خاصة.

وأشكركم أشقائي الأعزاء مرة أخرى كما أشكر السيد رئيس الجمهورية الفرنسية على الكلمات التي فاه بها في حقي.

الخميس 5 جمادى الأولى 1409 — 15 دجنبر 1988